مقدمة

• • يموج الأدب العربى المعاصر – الآن – فى تسابق مع «الحداثة» وتياراتها ، وبعد مضى نصف قرن تقريبًا من التجريب فى «الأنواع الأدبية» بعامة والشعر بخاصة : أصبح النص الابداعى رسالة شفرية لا تحدها حدود ، ووقفت معظم النصوص المعاصرة فى أغلب التجارب الفنية عند البناء الشكلى العميق أو المغلق مما يترك آثاره السلبية على «القارئ العادى» .

وليس من شك أن القارئ العادى أو المتلقى العام لا يقدر فى أحسن الأحوال على تذوق النص المعاصر، وأهم أسباب ذلك تعود إلى المبدع الشاعر أو المبدع الروائى لأن الشاعر أو الكاتب المعاصر لا يضع فى مخيلته بداية لمن يكتب ؟.. أو كيف سيتذوق القارئ نتاجه ؟.. لقد وقع المبدع العربى المعاصر فى مشكل يتجاهل أحد أهم أركان النتاج الثقافى فى ميدان الإبداع وهو «المتلقى» فالمبدع بحكم موهبته وتكوينه المعرفى أقدر من غيره على سير شخصية القارئ العام الذى تقل درجة تذوقه مرحلة أثر أخرى لعوامل حضارية شائكة لا تخفى على أحد . ومع ذلك يطرح المبدع رسالته الأدبية (قصة أو رواية أو قصيدة فى قوالب وأشكال حداثية تتطلب قدرة معرفية وتربية وجدانية يفترض الالمام بعناصرها . ومتذوق النص يحار أمام ثنائية التأويل أو تعدديته تارة ويعاف الايغال داخل كهوف الرمز وسراديب الغموض تارة ثانية بل لا يستطيع المتابعة والكشف فيما يطرحه التشكيل المعمارى المعاصر من حذف أو إضافة[1]. وليس معنى ذلك أننا ندعو إلى الوقوف أو الجمود عند «ماضوية التراث» وكفى ! بل التعامل مع معطيات التجديد الحضارى فى الأدب والفن بشكل واع حذر . وقد ذهب د. محمد حسين هيكل فى كتابه «ثورة الأدب» إلى أهمية ذلك فى إطار ثورته على القديم «لذلك لم يكن بد من

---

(١) يحذف الشاعر المعاصر بعض الألفاظ والتراكيب فى بناء النص بهدف إيحائى مبالغ فيه كما يلجأ الروائى المعاصر كذلك إلى إضافة نصوص من مقتبسات تاريخية فى لحمة البناء ، ويقوم بمهمة الربط الفنى أو التعليق على النص التاريخى فى سياق العمل الروائى .

أسلوب جديد و من لغة جديدة : أسلوب ولغة لا ينبوان عن العربية الصحيحة، ولا يستعصيان على ادراك الجمهور»[١].

• • معول آخر يضرب فى حركة التجديد الأدبية المعاصرة وهو التأثير الأيديولوجى السابق على إبداعية النص ، ونعنى به اخصاب التشكيل بالرؤية السياسية.. ولا ضير فى ذلك ، فحرية المبدع أغلى من كل شىء ، ولكن الخطورة تجىء من سريان لون واحد، يصبغ الرؤية ويشكلها .. لون تعتنقه أشتات مجتمعات هنا وهناك ، مما يمثل تظاهرة أحادية أيديولوجية محورها أزمة الفرد مع السلطة فحسب .. هل جمدت عند هؤلاء سائر «الرؤى» و «الأغراض» المغايرة لرؤيتهم ذات اللون الواحد ، اعتقد غير ذلك، ولنا أن نعضد ما ذهبنا إليه من مقولة معاصرة لأحدهم تقول[٢]:

(إننا وضعنا الأدب فى خانة المكمل التابع لفكرة سياسية ، لفكرة أيديولوجية لفكرة قومية . صحيح أن الأدب بطبيعته ، الأدب المتوفر على خصائصه ، يستظل بالأيديولوجيا كما قال الشاعر الجاهلى «وإنك كالليل الذى هو مدركى»[٣] أى لا نستطيع أن ننجو من الأيديولوجيا) . وللأجيال المبدعة المعاصرة التى «قيدت» تجاربها ومواقفها على هذا النحو أن نفيد من سلامة الخط الفكرى لرواد النهضة الأدبية الحديثة أمثال الرواد : طه حسين وحسين هيكل وعباس العقاد وتوفيق الحكيم .. ونجيب محفوظ .. وصلاح عبد لصبور .. وغيرهم فكانوا على اختلاف انتماءاتهم السياسية والحزبية أصحاب قضايا أدبية كبرى تهم لغة الأمة وآدابها لا الاقتتال حول قضايا فردية ضيقة .

والأدباء المعاصرون فى مجملهم – ليسو كذلك لكن أصحاب الأصوات العالية منهم تشغلهم قضايا «الذات» والدوران حول بريق المناصب والجوائز وعدوى الترجمة للغة أجنبية وحمى النشر الصحافى ، على حساب إهمالهم للإبداع وتجويده

• • إن الضعف الماثل فى معظم النصوص الإبداعية المعاصرة يعود فى أسسه إلى فئة أو «ثلة» من المتأدبين الشباب ذوى الموهبة المحدودة ، وتنتقل عدوى تلك الفئة من قطر

---

(١) ثورة الأدب ، د. محمد حسين هيكل ، ص ٩٥ دار المعارف ، ١٩٧٨ .

(٢) الوحدة ، مقالة لمحمد برادة (روائى وناقد مغربى) ، ع ٥٨ – ٥٩ ، أغسطس ١٩٨٩ م .

(٣) يقول النابغة:

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

«ليت الناقد قد أكمل عجز البيت السابق ، ليتحقق المعنى الكامل فى التلازم ، ولكل حريته الفردية والفكرية» .

إلى قطر ومن إقليم إلى آخر بل من مقهى إلى آخر على حد تعبير الشاعر الموهوب أحمد سويلم . هؤلاء الشباب يضربون بحماسهم غير المنضبط حركة التحديث فيجهضون بنتاجهم المكرور منجزات النص الإبداعى الحداثى ، ومنذ الثمانينات تشكلت من بينهم قاعدة هائلة وهشة ليست لها الركائز الثابتة أو الجذور الموصولة بالتراث .. ناهيك عن ضحالة الوعى الحداثى بمعاييره الفنية السديدة لمنجزات الأدبيات المعاصرة ، فألفينا إسهاماتهم جامدة عند المشاكسة والتقليد الممسوخ للنماذج الابداعية والإغراق فى محيطات الغموض كما اختلفت البنية الإيقاعية الصحيحة فى أشعارهم ، وتوارت عناصر القص فى قصصهم والمثير للعجب أن يتحول هؤلاء الشباب إلى صور «كربونية» باهتة تقلد أواسط الشعراء والكتاب باعتبارهم – ويا للخزى –مثلهم الأعلى فى النبوغ والريادة .

•• وهذا الكتاب يتناول **مجموعة من الأصوات الأدبية الراسخة فى الشعر والقصة والرواية** ، واعتقد أن انتخابى لنتاج تلك الكوكبة المعاصرة يمثل نتيجة منطقية عن جدارة المتابعة النقدية ، فاصحاب ؛ ذلكم النتاج تجاوزا إشكاليات الأدب المعاصر – التى أشرنا إليها آنفا – ووقفوا فى أصالة ووعى يرسمون ملامحهم المميزة فوق خارطة الابداع . على كل حال ؛ سنتجول فى حدائق أشعارهم ، ونلتقى عند مجاور قصصهم ؛ هدفنا المشاركة فى إيقاظ الموات النقدى المائل فى جسد الحركة النقدية المعاصرة ، ولا نزعم لمحاولاتنا كمال الإحاطة وإنما نؤمن بأنها تتعامل مع النص الأدبى المعاصر تعاملاً لا يتجاوز التنظير الأكاديمى ولا يقف كذلك عند سلبيات الاتجاه الصحافى النقدى . وليطمئن القارىء على المنهج النقدى الذى اخترناه ، فالدراسات التى يحويها هذا الكتاب تقع تحت مجهر «النقد الجمالى» **وهو منهج يقوم على إعادة تأسيس المعايير النقدية على محتويات النفس** ، أو مكونات العالم الداخلى للنص وصاحبه ، عمادنا التذوق الوجدانى ، أدواتنا ملكة الطبع والنزوع الإنسانى والإدراك الحسى المعلل ، لن يغرق – فى ضوء ذلك – قارىء النص لأننا لا نحيله إلى تجريدات بحتة مع العقل أو الإحصائيات والرموز الشفرية ، ولن ندعه أيضًا يمضى إلى أقصى مدى مع دعاة البنائية والأسلوبية أو يقع فى أسر الشكلانيين فحسب .

•• والمنهج الجمالى يستعين بمنجزات العلوم الإنسانية – أقرب العلوم – للأدب كفن وعلم ؛ وبالتالى فإن المنهج الذى يقودنا هو إيجاد رابطة حميمة بين المبدع والمستقبل ، أوصال الرابطة : كيفية التذوق ودربة التقاط المحسوسات والإدراك الحسى والوعى بالبيئة

ومفرداتها ، وهى عناصر يجب الارتفاع بها إلى ذهنية المتلقى ووجدانه ، من الضرورى إذاً أن تتسع دائرة النقد الجمالى والتأكيد على أهمية التذوق الوجدانى لأننا أشبعنا المتلقى طوال ثلث قرن مضى بالخطاب الأدبى العقلانى . ويعضد ما ذهبنا إليه هنا رأى الناقد يوسف سامى اليوسف القائل «يقيناً إن إقدام بعض المناهج النقدية الراهنة ، أو معظمها على نفى الذاتية والجمالية والتذوق الوجدانى للنصوص الأدبية، وترميد المعيارية والتصحية بها على مذبح «المنهج العلمى» القائم على مبدأ دراسة الشكل ، أو حتى دراسة الخارج المحدق بالنص ، بدلاً من دراسة النص نفسه ، ان هذا النفى هو واحد من أبرز تجليات خلع الإنسان وعزله ودحضه إلى قصاء بعيد» .

• • والأدباء المعاصرون موضوع «بحوث» هذا الكتاب هم بحسب الترتيب الهجائى :

«أحمد سويلم – حسين على محمد – صابر عبد الدايم – عبد الله السيد شرف – فؤاد قنديل – محمد السنهوتى – محمد جبريل – يس الفيل» وجميعهم من حسن الحظ – أصحاب نتاج إبداعى ملحوظ كل فى شكل التعبير الأدبى الذى يمارسه ؛ وبما أصدروه من مؤلفات إبداعية فى الثلاثين سنة الأخيرة ، وقد أخذ معظم هؤلاء حقهم فى الذيوع والتقدير أمثال (محمد جبريل وأحمد سويلم – جائزة الدولة التشجيعية) وجوائز محلية وقومية وعربية لكل من (حسين على محمد – صابر عبد الدايم – يس الفيل – فؤاد قنديل – عبد الله السيد شرف – محمد السنهوتى) وهى أصوات مصرية صميمة تملك من الأصالة الفنية ما يؤهلها لاستمرارية النبوغ والتفوق ، وتستند تلك النخبة المختارة على جذور ثقافية متينة وأنساق فنية واعية متحددة ، وأهم ما يميزها الإخلاص شبه الكامل للإبداع الشعرى والقصصى بحيث يتوارى فى نهجهم الحياتى «الصراخ السياسى» الذى يعرقل مسيرة الإبداع ؛ ويصدرون فى نهجهم الفنى عن مزاوجة متقنة «للرؤية والأداة» أما الرؤية فتنساب فى شرايين الأداة ، فلا نحس مع ذلك الانسياب إلا بدفقة المشاعر ونبض الفكر ويتحول النص إلى حياة ناطقة بشخصية المبدع ورؤيته الفاعلة .

• • الدراسة الأولى من الكتاب تتناول «فن الرواية» عند الكاتب الروائى محمد جبريل ، الذى يلجأ إلى التجريب الفنى المستحدث بتطعيم السياق الروائى بنصوص تاريخية أو بأوراق من سيرة وحياة المتنبى ، وتتناول الدراسة جدلية التشكيل الروائى المعاصر بالتطبيق على رواية الكاتب «من أوراق أبى الطيب المتنبى» ويكشف العمل الروائى عن بنية عالية يتمتع بها الكاتب تتآزر مع ثقافته الواسعة وخياله المتجدد .

• • ووقفت الدراسة الثانية عند فن «القصة القصيرة» للكاتب الروائى فؤاد قنديل، وتخيرنا المجموعة القصصية «عسل الشمس» فوقفنا عند قصص المجموعة وقفات جمالية متأنية تبرز ملامح التجويد الفنى عند الكاتب الذى يتسم بالأسلوب الشائق المقترب من لغة الشعر والأفكار القصصية الممزوجة بعنصرى الخيال والواقع ، كما أبانت الدراسة عن انحياز الكاتب لمصريته الصميمة وجذوره الأصيلة .

• • وتتناول الدراسة الثالثة من الكتاب ، فصلة موجزة حول ديوان «الشوق فى مدائن العشق» للشاعر «أحمد سويلم» من خلال دراسة عنوانها «مقاربة جمالية لتذوق النص» وتفصح الدراسة عن ميزة الحس الدرامى العالى عند الشاعر وقدرته على شحن اللغة بطاقة الفكر وتعدد الرؤية ، وكيف يجتث الزوائد ويكثف الصورة .

• • والدراسة الرابعة تعرض لديوان «حدائق الصوت المزدوج» للشاعر حسين على محمد، وجعلنا عنوانها «محاور التشكيل والرؤية فى شعره ، وتكشف الدراسة عن أثر البيئة وشعر العامية فى شعره ، وموقعه من حركة التجديد الشعرى ، ومحاور التشكيل الفنى فى الديوان خاصة وشعره عامة ثم الدعوة الناقدة ليتوفر على الشعر المسرحى . أيضًا لارتياد روافد المحسوسات التى أهملها فى أشعاره الأخيرة ، وفى ذلك تتضح مقولة د. طه حسين فى كتابه مع المتنبى «أريد من الشاعر البارع – كما أريد من الموسيقى الماهر – أن يفتح لى أبوابًا من لحس والشعور ، ومن التفكير والخيال» .

• • أما الدراسة التالية فيتناول بالتحليل أشعار صابر عبد الدايم فى موضوعين :

أولهما : حول ديوانه الأخير «المرايا وزهرة النار» .

وثانيهما : حول قصيدته «قراءة فى دفتر العشق» . ويكشف الاستقراء النقدى عن أبعاد التجربة الإنسانية عند الشاعر . والشاعر فى ضوء الدراستين ينهل من عوالم المحسوسات والمجردات ، فتبدوا فى أشعار جماليات التذوق الوجدانى ، وفى مثل هذا الأنموذج الشاعرى تصدق مقولة الأستاذ محمد خلف الله أحمد «وقد يكون مصدر الجمال قدرة الشاعر على استغلال الحس واستحضار الأشياء ، وإشاعة روح الحركة فى صوره لا تتعب ولا تجهد ، والتحدث إلى أذنيك باللفظ ، وإلى عينيك بالصور» .

• • فى دراسة رابعة عنوانها سيكولوجية الإبداع وابداعية النص» حول إنتاج الشاعر عبد الله السيد شرف .. ألفينا أثر العجز أو الحرمان الذى يعانيه الشاعر – على طبيعة

ودرجة ابداعه ، فتتبعنا مراحل تطور النتاج الشعرى فى دواوينه. ولا يزال الشاعر يعد بالعطاء والتجويد .

• • أما الدراسة السادسة من الكتاب فقد رصدت بالتأصيل والتحليل لنوع أدبى معاصر وهو أدبيات الطفولة ، فاخترنا أنموذج تطبيقى من الأدب الحكيم الذى يخاطب الصغار والكبار وهو «القصة الشعرية على لسان الحيوان» للشاعر المصرى محمد السهوتى (وهو شكلانى التقليد مجدد فى الأنواع الأدبية) . لذا قدمنا نتاجه القصصى بتمهيد نظرى نقدى – أراه من الضرورة بمكان – بحيث تتغير الصورة السائدة حول مفهوم أدب «الطفل» باعتباره ليس «الصغير من كل شىء» وتراث اللغات الإنسانية أو آدابها المعاصرة تزخر بأدبيات الطفولة ، وأدبنا العربى لا يقل إسهاما فى ذلك الميدان والدراسة تكشف عن «الرمز» فى القصة الشعرية على لسان الحيوان فى إطار التوجه للكبار والصغار بدرجة شبه متساوية .

• • أما آخر الدراسات التى أودعناها كتابنا فقد وقفت عند «التجربة الوجدانية» المعاصرة فى نتاج الشاعر «يس الفيل» وهو اتجاه نستشرف عودته مرة أخرى كمذهب فنى أو ظاهرة أدبية فى مجالى الأدب والفن ، بحيث نرى خصائصه – على أقل تقدير – ممزوجة بالواقعية الراهنة التى تلف دوائرها حول الإنسان . فيبحث عن الخلاص ، تحاول دراستنا البحث عن ذلك الاتجاه الرومانسى الجديد فى شعر يس الفيل ، وهو شاعر رومانسى تتسم أشعاره بالصدق الفنى والرؤية الشفافة والوطنية الصادقة .

وبعد ...

فهذا التقديم إضاءة أتيحت لى لأتذوق مع الدراسين والقراء نتاج كوكبة متميزة من أدباء مصر أسهموا ؛ ولا يزال اسهامهم يضىء معالم طريق الأدب العربى المعاصر .

• • والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، عليه توكلنا وإليه أنبنا وعلى الله قصد السبيل .

د. أحمد زلط

كلية التربية النوعية ببورسعيد